

المنظومة التربوية فضاء للصراع الأيديولوجي أي مخرجات في ظل نظام
تعليمي مؤدج؟

**The educational system is a space for ideological struggle
-What are the outcomes under an ideological educational
system?**

هشام قاضي1، د/رحيمة شرقي2

1جامعة الجليلي بونعامة-خميس مليانة (الجزائر) h.gadi@univ-dbk.m.dz

2جامعة قاصدي مرباح-ورقلة (الجزائر) chergui.rahima@univ-ouargla.dz

تاريخ الاستلام: 2020/11/22 تاريخ القبول: 2021/05/11 تاريخ النشر: 2021/06/23

ملخص: تعد المؤسسة المدرسية الفضاء الذي يبنى فيه فكر الفرد و المجتمع و الحضارة ؛ انطلاقا من فلسفة تربوية واضحة المعالم تبنى على هوية المجتمع؛ غير أن هذا الفضاء التربوي و المعرفي أصبح اليوم مجالا خصبا للصراع و للتطاحن بين مختلف التيارات على حساب إنتاج مخرجات أو تكوين مورد بشري يخدم و ينهض بمستقبل المجتمعات؛ كما هو واقع الحال في المجتمعات العربية التي مثلت فيها المدرسة مجالا لتصارع مختلف الايديولوجيات الفكرية والدينية والسياسية... والتي برزت وبشكل واضح في المناهج والمقررات الدراسية فأصبحت الايدولوجيا بذلك المحرك الرئيسي للخطاب التربوي. وعليه سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تفكيك الخطاب الايديولوجي في النظام التربوي ونتاجه على المورد البشري.

الكلمات المفتاحية: (ايدولوجيا، مدرسة، مورد بشري، صراع، نظام تعليمي)

Abstract : The school institution is the space in which the thought of the individual, of society and of civilization is constructed. Based on a clear educational philosophy based on the

identity of the company; However, this educational and knowledge space has today become a fertile ground for conflicts and conflicts between the different currents to the detriment of the production of products or the creation of a human resource that serves and advances the future. companies As is the case in Arab societies where the school represented a field of struggle of various intellectual, religious and political ideologies ... and which appeared clearly in the curricula and university programs; Ideology has thus become the main driver of educational discourse. We will try, through this research document, to deconstruct the ideological discourse in the education system and its product on human resources.

Key words: Ideology, school, human resource, conflict, educational system.

Résumé : L'institution scolaire est l'espace dans lequel se construit la pensée de l'individu, de la société et de la civilisation. Basé sur une philosophie éducative claire basée sur l'identité de la société; Cependant, cet espace éducatif et de connaissance est devenu aujourd'hui un terrain fertile pour les conflits et les conflits entre les différents courants au détriment de la production de produits ou de la création d'une ressource humaine qui sert et fait progresser l'avenir des sociétés. Comme c'est le cas dans les sociétés arabes où l'école représentait un champ de lutte de diverses idéologies intellectuelles, religieuses et politiques ... et qui apparaissait clairement dans les programmes et les programmes universitaires; L'idéologie est ainsi devenue le principal moteur du discours éducatif. Nous tenterons, à travers ce document de recherche, de déconstruire le discours idéologique dans le système éducatif et son produit sur la ressource humaine.

Mots clés: Idéologie, école, ressources humaines, conflits, système éducatif

مقدمة:

تحتل المؤسسة المدرسية مكانة مهمة في حياة المجتمعات و ذلك نتيجة لدور المنوط بها في تربية النشء الجديد وصقل شخصية الفرد في مختلف مراحل عمره انطلاقا من فلسفة المجتمع و رؤيته و تصورات و ومن هذا المنطلق تتم بلورة الغايات و المناهج والطرائق وأساليب التقويم المختلفة في عملية التعليم والتعلم ولهذا تسعى المجتمعات الى توظيف كل امكانياتها لتربية أبنائها وفقا لنموذج لتربوي ثقافي ينبثق من أهداف تضعها مؤسسات ذات سيادة تتحكم في الفعل التربوي لإنتاج مورد تربوي يتماشى والايديولوجيا الموضوعة كما أصطلح عليها و انطلاقا من قاعدة أساسية تقوم على ما من خطاب خال من الايديولوجيا، وعليه فإن سنحاول من خلال هذه المداخلة أن ننطلق من الاشكال التالي: ما هي مظاهر وانعكاسات الصراع الايديولوجي داخل المنظومات التربوية على انتاج المورد البشري؟ وماذا أنتجت الأنظمة التربوية المؤدجة لمجتمعاتها؟

1-المقاربة المفاهيمية

من حيث معنى الايدولوجيا فإن أول من ركب كلمة أيديولوجيا من أصلها اليوناني هو الفرنسي **ديستوت دوتريسي** في أواخر القرن 18م وقد ركبها من كلمتي "ided وتعني الفكرة و **logos** وتعني علم وقد استخدمها اتباع مدرسة الايديولوجيين لتعني علم الأفكار او علم تحليل الأفكار وآلية تكوينها في الذهن (السديس، 1999، ص2) وقد استعمل دي تراسي كلمة "ايديولوجيا" لتسمية عملية تحليل الافكار المأخوذة بصفقتها شبيهة بعلم النبات وعلم الحيوان الطبيعتين، بهدف دراسة أصول هذه الأفكار وعلاقتها بطريقة تجريبية منطقية. (داريوش شايفان، 2004، ص224) وفي عام 1845 استخدم كارل

ماركس هذا المصطلح في كتابه " الايديولوجيا الألمانية " 1845م يهاجم الفلسفة الألمانية في عصره، وليثبت عدم جدواها، ومن هنا وصفت الايديولوجيا بأنها مفهوم يقلب الأشياء رأساً على عقب وأنها الصورة الكاذبة التي يرسمها الناس عن أنفسهم بهدف تبرير بعض الأوضاع الاجتماعية الخاصة (Roymon Boudon, 1986,p30) ولهذا كتب ماركس في كتابه الايديولوجيا الألمانية " إن أفكار الطبقة السائدة في المجتمع هي أيضا الأفكار السائدة فالطبقة التي تملك وسائل الإنتاج المادي تكون أيضا مالكة لوسائل الإنتاج الفكري" (أبو شهيدة وآخرون، 1993، ص 25) ولهذا فالأيديولوجيا عند ماركس هي تضليل وخداع بل هي وهم زائف". (يعيش خزار، 2001، ص 16) أما غرامشي فيرى بأن الإيديولوجيا ليست طبقية إنها تساوي الفلسفة، وتساوي النظرة الكونية الشاملة وتساوي السياسة أي مجمل الأفكار التي تحرك مجتمعا ما، أو تكون أساسا لوجوده وحركته وهي لا تشمل فقط النظريات والأفكار العامة بل تشمل كذلك كل أنساق القيم والمعتقدات" (خليفة وآخرون، د.ت) ص(135-136) و استنادا الى رايت ميلز فذهب الى أن الايديولوجيا هي ابداعات عقلية أخلاقية تتضمن مثلا علما وشعارات بسيطة ووقائع ملتبسة، ودعاية فجة، ونظريات مركبة (يعيش خزار، 2001، ص 24) أما ناصيف نصار فيرى بأن الإيديولوجيا من حيث هي منظومة أفكار اجتماعية مرتبطة أصلا بوجود جماعة تاريخية معينة وهي منظومة موضوعية للدفاع عن هوية تلك الجماعة وعن مصالحها ومن أجل تحديد فاعليتها في مرحلة تاريخية معينة.(نصار، 1975، ص 43) من خلال ما تم ذكره فان الايديولوجيا يختلف تعريفها بين المفكرين و الفلاسفة تباعا لاختلاف مشاربهم وأفكارهم ومنطلقاتهم الفكرية والعقائدية فهي علم الأفكار.

2: المدرسة والإيديولوجيا في الفكر السوسيولوجي الغربي:

لقد عرفت المقاربة الغربية في سوسيولوجيا التربية مداخل متنوعة جاءت وفق سياقات تاريخية واجتماعية وفلسفية معينة شكلت فيها التربية والمدرسة محور التركيز والاهتمام والتي انقسم فيها الرواد والمفكرين إلى اتجاهات محافظة وأخرى نقدية فالاتجاهات المحافظة تنشد في طياتها إلى تحقيق التوازن الاجتماعي واحتواء كل تغير وكل صراع وحله أو حتى إجهاضه فتيار المحافظ يبدأ من الواقع ليتعايش معه وليحميه وليحافظ عليه بوصفه الواقع الأمثل وغاية الغايات. (عبد المعطي، 1988، ص138) في حين مثلت الاتجاهات النقدية ذلك التوجه الذي يتناول المفكر أو الباحث من خلاله مجموعة من نظام اجتماعي تنتفي فيه هذه التناقضات. (اسماعيل علي، 1995، ص120) فمن خلال هذين التيارين فإننا سنحاول إبراز أهم الرؤى لتيار المحافظ حول المدرسة والتيار النقدي.

2-1- التيارات المحافظة:

-الإتجاه الوظيفي ورؤيته للتربية والمدرسة: اهتمت النظرية البنائية الوظيفية بدراسة العلاقات المتبادلة بين المجتمع والتربية كنظام أو المدرسة كمؤسسة اجتماعية ترتبط ببعض المؤسسات الاجتماعية الأخرى وتتفاعل معها في تحديد وظائفها وتحقيق وظائفها وعليه تم التركيز على العلاقة بين المجتمع والتربية والتعليم والاقتصاد من أجل تكيف عناصر النظام الاجتماعي ووظائفه حتى يستمر في البقاء والعمل في انتظام ثم ربط التربية والبيئة الاجتماعية من خلال انتقاء وتوزيع وتدريب وإعداد قوى العمل اللازمة لسوق العمل وينصب الاهتمام كذلك على رصد كل أنواع الخلل التي تعوق نظام التعليم عن تأدية وظيفته في تدريب الأفراد وتصنيفهم وتشكيلهم في مكانتهم الاجتماعية التي يستحقونها طبقا لقدراتهم وإنجازاتهم

الدراسية، وانطلاقاً من المقاربة الوظيفية ثم الاهتمام بمعالجة الخلل في النظام التعليمي من خلال التركيز على دراسة النظام التعليم ذاته أو في علاقته بالنظم الفرعية الأخرى تعني المجتمع دون أن تشير إلى أن الخلل القائم في النظام الإجتماعي العام (سبرطعي، 2018، ص91) ولعل دفاع النظرية الوظيفية عن قيم البرجوازية والرأسمالية والحفاظة جعلت المفكر رايت ميلز يقول: "لقد حول بارسونز المجتمع بأسرة على مجرد قيم ومعايير أو إلى رموز مجردة توجد مستقلة عن البشر وتفرض عليها سلطاتها. وأكفل تماماً الأساس الاقتصادي والسياسي للمجتمع وعبر بوضوح عن انحيازه الإيديولوجي للطبقة الحاكمة والإنسان عنده غير قادر على تغيير هذه الأنساق القيمية ولكن عليه أن يخضع لها ويتكيف معها ... ان تأكيد بارسونز على فكرة التوازن... غنما هو تحذير من أي تمرد أو محاولة لتغيير الأوضاع القائمة (نعيم، 1985، ص108) وبهذا فإن هذه المقاربة النظرية تؤكد في المجال التربوي على فكرة الفوارق الوراثية بمعنى أن المدرسة توحد جميع المتدربين في التمثل للأخلاق والمعايير الإجتماعية. (عويش www.new-educ.com) وهذا يعني أن المدرسة لا بد أن تقوم بدور عقلائي حسب دوركايم بتقديم المعارف والقيم والحفاظ على المجتمع العلماني الديمقراطي والدفاع عن ثوابته التنظيمية و النسقية والإيديولوجية وبصيغة أخرى فالنظام التربوي مطالب بعملية التطبيع والإعداد الاجتماعيين يتشرب الأجيال القادمة مجموعة من القيم والمعايير والعادات والتقاليد والأعراف بغية تأهيلهم للأدوار المنتظرة منهم في المستقبل حسب حاجيات النظام الاجتماعي (سبرطعي، 2018، ص95) .

2-2- التيارات النقدية أو الصراعية:

تعكس أدبيات الصراع ثراء واضحا في تقدمه من تعريفات لمفهوم الصراع كما تعددت أيضا بؤر الاهتمام ونقاط التركيز التي يوليها المختصون أهمية كبيرة عند تناولهم للمفهوم بالدراسة والتحليل. لقد استمدت النظرية الصراعية أسسها المعرفي من الفلسفة المثالية لهيكل المؤكد لوجود صراع الأفكار إلى أن جاء ماركس الذي حول تلك الصورة العقلية المعرفية إلى صورة مادية تاريخية تشير إلى صراع الطبقات الاجتماعية بالمفهوم المادي الاقتصادي والاجتماعي ولقد أيدها العديد من المفكرين أمثال "ماركس، بارتيو، لويس كوزر، رالف داهرندوف ... تقوم على جملة من التصورات مفادها أن الحياة الاجتماعية تولد بطبيعتها الصراع لكونها تتكون من جماعات ذات مصالح مختلفة ومتداخلة؛ فالنظم الاجتماعية ليست متحدة ومنسجمة فهي تتضمن أشكالا متباينة من القوة تميل إلى التغيير سعيا لتأكيد ذاتها وضمان حقوقها والتخلص من الطبقة المسيطرة عليها كل ذلك يأتي إلا عن طريق الصراع. (ضيف، 2016، ص 189) ولقد تعددت اتجاهات الصراع الاجتماعي فالصراع قد لا يكون دائما اقتصاديا أو سياسيا في الغالب بل صراع بين من يتمتع بالسلطة والمعرفة والعلم وبين الخاضع لها. كما يرى أصحاب مدرسة فرانكفورت وصراع ثقافي بين من يملك المعرفة ومن يفتقدها وبين من يملك ويهيمن على السلطة وأدوات المعرفة الحديثة ويسطر بعنف رمزي على حد قول بياربوردو و. (سبرطغي، 2018، ص 101) إن الحديث عن الصراع في مجال التربوي يقودنا إلى الحديث عن مقارنة بياربوردو، وكلود باسرون في حديثهما عن دور المدرسة في إعادة إنتاج الايديولوجية الرأسمالية المهيمنة لقد تناول بياربوردو مفهوم إعادة الإنتاج بالتحليل والدراسة والتقويم حينما ركز اهتمامه

السوسيولوجي على النظام التربوي الفرنسي مع صديقه جان كلود باسرون في كتابها إعادة الإنتاج منذ الستينات؛ لقد انطلق بورديو في مسيرة الكتابة والتنظير في قضايا النظام المدرسي ووظائفه الطبقية. حيث يعلن بورديو أن الغايات الحقيقية للمدرسة تتحدد بطريقة خفية وخارج دائرة ما يفعل داخلها فالأصل الاجتماعي هو الذي يحدد متابعة تحصيلهم الدراسي فالإيديولوجيا الزائفة التي تهيمن على النظام المدرسي تؤكد على السمات والخصائص الفردية للأفراد الذين ينتمون للمدرسة ومن أجل فضح هذه الإيديولوجيا الطبقية انطلق بورديو في بناء نظريته السوسيولوجية لنقد الدور الطبقي للمدرسة ووظائفها الإيديولوجية فالمدرسة كما يراها بورديو قائمة على علاقات الهيمنة والسيطرة الواضحة بين الطبقات الاجتماعية ويتضح في هذه الرؤية وجود تكامل بصيغة التآمر بين النظام التربوي والنظام الاجتماعي في توليد الإيديولوجيا الهيمنة حيث تقوم المدرسة بإعادة إنتاج البنية الاجتماعية المتفاوتة طبقيا. والنظام الاجتماعي كما يراه بورديو يستند في جوره إلى معطيات النظام المدرسي وهذا يعني أن النظام المدرسي يهتم بصورة مباشرة في عملية إنتاج وإعادة إنتاج النظام الاجتماعي على نحو كلي، ويحافظ على استمرارية الوضعية الطبقية الأصيلة للمجتمع، ويبين بورديو في هذا السياق أن مؤسسات التعليم والتنشئة في المجتمعات المعاصرة تهيمن على المجال التربوي برمته، وهذا يذكرنا بتأثير الكنيسة وهيمنتها على المجال التربوي الديني في أوروبا في العصور الوسطى المسيحية. (وظفة، 2013، ص9) فحسب بورديو وباسرون هناك وجهة سرية للنظام المدرسي يعمل صنع أرستقراطية إجتماعية أما بازيل بريشتيان فقد قام بمعالجة اللغة بين مختلف الطبقات الاجتماعية من خلال المحادثة أو عمل على إعادة قراءة العلاقات ما بين السلطة والطبقات في العمليات التربوية للمدرسة وإعادة

قراءة المحتويات الإجتماعية والمؤسساتية حيث يرى بازيل بريشتيان " أن المدرسة فضاء للصراع اللغوي واللساني فلغة أبناء الطبقة الوسطى والعليا تتم بالخصوبة والاسترسال والترابط المنطقي وتميل أيضا إلى التجريد والتميز، والصور... إلخ وأبناء الطبقات الدنيا تتم باستعمال شفرة لغوية ضيقة ومحدودة كما أنها لغة مفككة غير خاضعة لعمليات التحليل والتأليف (حمداوي، اللسانيات الاجتماعية www.olmojqof.com) وبذلك فنظريته "نظرية الرمز السوسولوجوي" تعالج العلاقة ما بين الطبقة الاجتماعية والعائلة وإعادة إنتاج الأنظمة اللغوية، منطلقا من تساؤل مفاده - ما طبيعة العلاقة القائمة بين التحصيل المدرسي والتباين اللغوي" وبعد دراساته الإمبريقية والنظرية توصل برنشتاين أن الوسط الإجتماعي يلعب دورا في تحديد المستوى اللغوي لكل فئة إجتماعية والذي يكرس التفاوت التربوي بين الفئات الإجتماعية الميسورة والفئات الإجتماعية التي تعاني من الحرمان والفقر وبذلك نشهد تقاربا كبيرا بين آراء برنشتاين في بريطانيا وباسرون وبورديو في فرنسا. ويرجع بذلك تباين التحصيل المدرسي عند الأفراد إلى التباين في مستوى تحصيل اللغة الفصحى للرسمية وإلى قدرة الأفراد على استخدام الرمزية اللغوية وتوظيفها بين الطبقات العليا والوسطى والدنيا (وظفة، 2013، ص3).

وعليه فمن خلال تجربة علمية وجد تمايز ما بين الضيق للطبقة العاملة والزمن المتطور للطبقة الوسطى غير أن الرموز الضيقة فهي تابعة للسياق أما الرموز المتطورة فهي مستقلة عن السياق والعالمية فالرموز الطبقة ليست معيبة ولكنها متصلة وظيفيا بالتغيير الإجتماعي للعمل تابعة وضرورية لسياق الإنتاج، وفي نفس الوقت الرمز المتطور للطبقات الوسطى يمثل التغييرات الوظيفية إن رمز الطبقات الوسطى يمثل تغيرات الوظيفة وفقا للتقييم العمل والمكانة

الإجتماعية للطبقات الوسطى في إعادة الإنتاج، رمز متطور ضروري للنجاح المدرسي غير أن أبناء الطبقات العالية رمزهم ضيق غير مقبول إذا ما قورن بالرمز المهيمن على المدرسة (بودبزة ، 2015 ، ص19). أما أصحاب سوسولوجيا المحتوى التربوي و رائد هذا التيار يونغ واسلانند البريطاني في السبعينات واهتم خاصة بطرق الانتقادات وشرعية المحتوى التربوي حيث نظر غلى المختور التربوي على أنه خيارات وبنى إجتماعية ليس له أي أساس وهو دائما له علاقة بالسلطة والمعرفة العلمية، لأنه قبل كل شيء هي رهانات اجتماعي، فالعارف المدرسية تنفل بطرق معينة حيث أن التلاميذ يلقتون أشياء أخرى غي المحتوى المعرفي محتوى يعني يشمل ترسيخ ايديولوجي معين. (بودبزة ، 2015 ، ص20) أما المدرسة فرانكفورت فقد ذهب أصحابها إلى تحصيل دور المدرسة في إعادة الإنتاج وتلغي الضوء على الدور السياسي للمؤسسة المدرسية والمتجلي في تحرير خطاب الهيمنة والتبرير الأيديولوجي للنظام الإجتماعي القائم حيث أظهرت أعمالها حول البيداغوجيا النقدية في أطروحات الفكر التربوي باولو فريير ومن أبرزها أطروحته بيداغوجيا المقهورين التي أثار فيها التساؤل عن دور النظام الرأسمالي في تكريس قمع الفقراء والفئات المهمشة حيث ناقش وضع البرازيل كدولة من دول العالم الثالث وكيف ساهم المعلم الرأسمالي في تعميق ما أسماه بـ " تربية المقهورين وفي نفس الاتجاه نجد هنري جيرو والذي أخذ منحى اجتماعيا حيث اشتغل بمحاولة فهم واقع التعليم الرأسمالي وكشف أبرز ملامحه التي تتمظهر في الواقع الأمريكي، وبيتر ماكليرن الذي نفذ الواقع التعليمي في كندا والولايات المتحدة الأمريكية. لاسيما بتوظيفه البيداغوجيا النقدية كأداة لتشريح النظام التعليمي الرأسمالي، والذي كرس كل جهوده في نقد الأيديولوجيات الفاسدة إضافة إلى براون الذي سمى دراسته بـ «التعليم

الوالديمقراطي" الذي يكفل للأطفال من عائلات ثرية فرض التعليم أكبر مقارنة بمن يمتلكون قدرات إدراكية أكبر من الفقراء. حيث يرى الرأسماليون التربويون أن تحكم الدولة في التعليم قد يجد من كفاءة المؤسسات التعليمية ويعيق من تنافسيتها. (الحازمي، 2018، ص ص 267-268).

3: الصراع الايديولوجي التربوي و انتاج المورد البشري

يؤكد بيتر دركر في قوله: " ان أي منظمة لها مورد واحد و حقيقي هو الإنسان" كما يشير أحمد سيد مصطفى قائلا: " ان الموارد البشرية هي تلك المجموعات من الأفراد القادرين على أداء العمل و الراغبين في هذا الأداء بشكل جاد و ملتزم و حيث يتعين أن تتكامل و تتفاعل القدرة مع الرغبة في اطار منسجم و تزيد فرص الاستفادة الفاعلة لهذه الموارد عندما تتوفر نظم تحسين تصميمها و تطويرها بالتعليم و الاختيار و التدريب و التقييم و التطوير و الصيانة (أبو نصر، 2007، ص31) انطلاقا مما سبق فالمورد البشري هو لبنة بناء المجتمعات من خلال وضع استراتيجية والتخطيط للبرامج وسياسات التربية تعليمية تنطلق من المدرسة لتنميته و تكوينه و تأهيله؛ و هذه السياسة التربوية لا بد عليها أن تنطلق من هوية و ثقافة المجتمع لقول إدوارد بيوشامب " إن أي نظام تعليمي يشكل نموا طبيعيا لأوضاع ثقافية محددة وأن إبعاد ذلك النظام عن الأوضاع التي نشأ فيها يعني فقدانه لمسوغات وجوده" و اذا فقد هذا النظام ايدولوجيته المجتمعية أصبح المورد التربوي معول هدم لمجتمعه " لقد كان من نتائج بسط الدولة (الايديولوجيا) قديما نفوذها على التعليم، عجز الإسرطيين عن تحمل تبعات النصر وأعباء الحكم لأنهم قد تدربوا على أن يسمعوا و يطيعوا، ولم يتم تأهيلهم لأن يفكروا ويتخذوا قرارات و بروز مظاهر من قبيل الانحلال الخلقي والاجتماعي لديهم، حيث كان مرد

ذلك إلى فشل النظام التربوي المعتمد (أرطبع، بن عتو، 2019، ص93). لقد بينت الدراسات والأبحاث في كثير من بقاع الأرض أن الحكومات والأنظمة السياسية التي أنشأت أنظمتها التربوية كانت دائما توظف الأنظمة التربوية في عملية الضبط الاجتماعي لتطبيع الناشئة على أنظمتها الأيديولوجية من أجل المحافظة على سيطرتها وهيمنتها السياسية والتاريخ يوضح بالشواهد التربوية على فعالية هذه التوظيفات الايديولوجية للدولة في مجال التربية وتكفي الإشارة في هذا السياق إلى التربية النازية بألمانيا والتربية الفاشية في إيطاليا والتربية الماركسية الستالينية في الاتحاد السوفيتي والتربية الصهيونية (الكويتز) والتربية الشيوعية ومن ثم التربية البعثية في سوريا والعراق والتربية الناصرية في مصر والتربية الليبرالية في أوروبا وأمريكا... الخ (وظفة، ؟/ <http://elsada.net/109246/>) ولعل دمج الايديولوجيا بين ثنايا النظام التربوي باعتباره موضوعا لهذه الدراسة من خلال تدوير أساسيات النظام القائم عبر المهارات التدريسية المقدمة للمتعلم في إطار فلسفة تربوية كما يستهدف التوغل إلى وعيه لإعادة إنتاج قواعد ذلك النظام دون أية مساءلة أو استفسار وهنا بالذات تكمن خطورة الايدولوجيا لأنها تستهدف الجانب العاطفي عوض العقل فهي تقدم نفسها على أساس أنها فوق العلم (أرطبع، بن عتو، 2019، ص96).

من المعروف تاريخياً أن هذه الأنظمة التربوية جعلت من التطبيع الأيديولوجي الهدف الأساسي والمركزي للعملية التربوية برمتها وقدمته على الوظيفة المعرفية والعلمية للمؤسسات المدرسية ومن النادر في حقيقة الأمر أن نجد نظاما تربويا في العالم المعاصر لا يولي للتطبيع الأيديولوجي في المدرسة أهمية وخصوصية والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى وتعد (وظفة، ؟/ <http://elsada.net/109246t/109246/>) انطلاقا من هذه الصورة تكمن

خطورة الايديولوجيا في تحويل السلوك إلى معرفة عبر التربية التي تعتبر محطة لتطاحن وتصارع الايديولوجيا، إذ هي المتحكمة في قتل وإلغاء مشروعية أو تشهير ايديولوجيا معينة وتطويرها كما تتيح لها أن تشكل مشروع انتقال تأثيري من الفرد نحو الجماعة والعكس أصح حيث المصالح تصاغ صياغة فردية في قالب جماعي (أرطيم، بن عتو، 2019، ص91).

إن المدرسة اليوم التي أصبحت حديث الرأي العام داخل كل المجتمعات ولاسيما العربية منها والتي تستدعي وعيًا بواقعها والحفاظ على غاياتها العلمية والمعرفية بعيدًا عن الغرائز السياسية والايديولوجية أو حتى التجارب النظرية غير الناضجة أو غير المجمع على صحتها. الخطأ في خياراتنا التعليمية مكلف في حياتنا الاجتماعية و الوطنية ولا أحد يقول إن المدرسة في المجتمعات العربية بخير وأنها حققت أهدافها ماعدا على مستوى البنية التحتية وسعة الاستقبال (ميرين، <https://www.nafhamag.com>) فعلى الرغم من توفير الهياكل القاعدية ووسائل بيداغوجية وبشرية من أساتذة و خبراء ومفتشين و مؤطرين إلا أن هناك اجماع على أن المنظومة التربوية العربية تعاني من عدة مشاكل ونقائص منها ضعف النتائج ارتفاع مستوى الرسوب و التسرب و الإخفاق المدرسي وعدم تحقيق المنظومة التربوية لأهداف المسطرة و عدم تلبية حاجات المجتمع من مختلف مهارات المهنية و هي عوامل تحتاج الى اصلاح و معالجة (قصير، 2010، ص71) وفي هذا الصدد يصرح أحمد جبار: "ان نظامنا التربوي في حالة إتلاف فتصريحات الرضا للسلطة الرسمية لا تخفي الواقع المأساوي الذي يعيشه الأولياء و أبنائهم نظامنا التربوي ينتج عددا هائلا من المقصين في الشارع بدون تأهيل و حاملي شهادات عاطلين عن العمل...لذا يتوجب جعل المدرسة بيئة لنقل و انتاج المعرفة بعيدة عن الحسابات السياسية و التوظيف الحزبي و

الأيديولوجي... " (قصير، 2010، ص72) لقد أثار موضوع الايديولوجيا في المدرسة النقاش و الجدال بين مختلف التيارات الذين جعلوا منها المتسبب الأول في ما آلت اليه المدرسة " و باعتبار المدرسة هي المحتضن الأساسي في صناعة النشء فمن الطبيعي أن تكون محل تجاذب واسع بين النخب الفكرية والثقافية وتشكّل دائرة اهتمام بالغ من كافة مؤسسات وأفراد المجتمع بما يدفع بها إلى أن تكون قاعدة في تكوين الأجيال المشبعة بروح الانتماء الحضاري المنفتحة على روح العصر والمؤهلة لتلبية حاجيات الأمة في الابتكار والمعرفة والإنتاج في كافة القطاعات لقد أصبحت المدرسة العربية ساحة مفضلة للصراعات الايديولوجية لا سيما بين التيارين المحافظ والحدائي و الليبرالي و الاشتراكي و الشيوعي... ففي كل مرة يفتح النقاش حول إصلاحات معينة أو أفكار جديدة يثار جدل محتدم بين تيارات متصارعة تقوم بتصفية حساباتها على حساب التلاميذ والطلاب بدل رسم مستقبل منفتح للأجيال القادم (بليدي، <https://alarab.co.uk>) فإنّ كل التيارات الايديولوجية ناقمة على المدرسة وكل طرف يكيل لها من التهم ما يحتملها وزر السلطة والمجتمع ويضع على عاتقها مسؤولية الانحرافات والأخطاء والإخفاق..... هذا الوضع الشاذ الذي كبت دور المدرسة ورهن مصيرها بلعبة التدافع الأيديولوجي بين تيارات المجتمع (عثماني، <https://www.echoroukonline.com>) لقد أصبح الصراع اليوم صراع هواياتي داخل المدرسة.... المكلفة اجتماعيا بإعداد جيل يساير الهوية الرسمية المعلن عليها في أي دستور؛ لقد أصبحت المنظومة التربوية العربية ان صح التعبير تركز المشروع الاستعماري بضرب الهوية... والانسلاخ عن قيم وثوابت الأم عبر استهداف الأجيال

الجديدة من التلاميذ وطلبة ببرامج تربوية مستوردة، ترمي إلى سلخ الفرد العربي المستقبلي عن هويته وثوابته الروحية والحضارية.

لقد أدى الصراع الايديولوجي داخل المدرسة الى وقوع المدرسة في أزمة فعلية أثرت سلبا على انتاج كوادر فعلية تخدم مصالح المجتمعات فتقهقر المستوى العام، أو شهادات خاوية بدون تكوين فعلي إضافة الى تخبط الأسرة العاملة في القطاع في مشاكل مهنية واجتماعية غير متناهية أثرت بالسلب على أداء التلاميذ ودفعت بالتلاميذ إلى التسرب سنويا وهو ما يشكل قبلة موقوتة تهدد المجتمع، وتفتح أمام شبابه موجات الانحراف والتطرف كما أدى هذا الصراع الى خلق جيل بدون هدف واضح المعالم هدفه الأوحد والوحيد هو الهروب من الوطن لا أكثر، هذا المورد النفيس الذي تغنى به أكبر المفكرين و الفلاسفة المورد البشري المعول عليه في انتاج و إعادة انتاج المجتمعات لقول ألفريد مارشال "أنفس رأسمال هو الذي يثمر في البشر."

وباختصار لقد وظفت التربية تاريخيا توظيفاً أيديولوجياً وما زال الطابع الأيديولوجي يسم حياة المدرسة والمؤسسات التربوية التي لا تتجاوز خارج حدود وظيفتها المعرفية عملية التطبيع والأدلجة والترويض العقائدي الذي يصل إلى درجة الدوغماتية من أجل تأكيد الهيمنة السلطوية للأنظمة السياسية والفكرية السائدة في المجتمع وفي إطلالة خاطفة على الأوضاع الأيديولوجية في بلداننا اليوم نجد أن الأنظمة الأيديولوجية لا تتبنى أي اتجاه من الاتجاهات الفكرية مثل الليبرالية أو العلمانية بل تتبنى اتجاهها واحدا هو التطبيع والترويض عبر التجهيل والقضاء على كل أشكال الوعي النقدي ويمكن أن تعبيرا عن هذه الصيغة في قول علي شريعتي "المعلمون في بلادنا يؤساء أتعرف لماذا؟ لأن حكامنا طغاة والطغاة كانوا

عبر التاريخ ضد تعليم الشعب مهما ادعوا فالتعليم يعني الوعي والوعي يدفع المواطن للمطالبة بالحقوق ومحاسبه الحكام" وهذا هو الأمر الذي يخشاه الحكام الطغاة، وتلك هي الحقيقة التي تفصح عن نفسها في كثير من البلدان العربية والنامية عبر ممارسات التجهيل والتدمير المنظم للعقل والعقلانية في مختلف الحقول المعرفية (وظفة، <http://elsada.net/109246>)

خاتمة

مما لا شك فيه أن النظم التعليمية هي ركيزة الرقي والتطور والنهضة في أي مجتمع من المجتمعات ولعل الطفرات التقدمية التي تحدثها الأمم والمجتمعات يعود في نهاية المطاف إلى وضع سياسات تعليمية والتربوية نابعة من أيديولوجية المجتمع على حد قول إدوارد بيو شامب " إن أي نظام تعليمي يشكل نموا طبيعيا لأوضاع ثقافية محددة وأن إبعاد ذلك النظام عن الأوضاع التي نشأ فيها يعني فقدانه لمسوغات وجوده" ان المدرسة العربية اليوم تستدعي القائمين على شؤونها الوعي بواقعها والحفاظ على غاياتها العلمية والمعرفية بعيداً عن الأطروحات السياسية والايديولوجية. و يكاد المختصون في الشؤون التربوية الاجماع على فشل المدرسة العربية في الحفاظ على المستوى المطلوب أو ترقيته وذلك نتيجة الفشل في تحديد هوية ووظيفة المدرسة على الوجه الحضاري و البيداغوجي الدقيق بمقاربات علمية تنطلق من معطيات الخصوصية السوسيو-الثقافية و الحضارية لمجتمعها بعيدا عن أي صراع ايديولوجي أو سياسي ضيق على حساب الوظيفة الأصلية لها في التربية والتعليم فمتى تتحرر المدرسة من الحسابات الايديولوجية التي كان و لايزال الرأسمال البشري رهينا لها؟

الإحالات والمراجع:

- 1- أبو نصر مدحت محمد (2017) ادارة وتنمية الموارد البشرية الاتجاهات المعاصرة، مصر: مجموعة النيل العربية.
- 2- أبو شهيدة مالك عبيد وآخرون (1993) الايديولوجية والسياسة، ليبيا: الدار الجماهيرية.
- 3- اسماعيل علي سعيد (1995) فلسفات تربوية معاصرة، الكويت K عالم المعرفة.
- 4- الأزهر ضيف، جميلة زيدان (2016) نقد نظرية الصراع وانقطاعها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر العدد 20، الوادي، الجزائر.
- 5- الحازمي أحمد (2018) البيداغوجيا النقدية وتحافت الايديولوجيا الرأسمالية-اشكالات نقدية في سبيل إصلاح التعليم في المجتمعات الاستهلاكية. المجلة الأردنية في العلوم التربوية- مجلد 14- عدد3-الأردن.
- 6 - حمداوي جميل، اللسانيات الإجتماعية، الشبكة المعلوماتية : www.olmojqof.com
- 7- خليفة أحمد وآخرون (د-ت) إشكالية العلوم الإجتماعية في الوطن العربي، بيروت: دار التنوير.
- 8- سديس عبد العزيز بن علي (2019) التحيز الايديولوجي في الفكر والتحليل الإقتصادي الغربي، الرياض: جامعة الملك سعود.

- 9- شايهان داريوش (2004) ت: محمد الرحموني، ما الثورة الدينية؟ التقليدية في مواجهة الحداثة- بيروت: دار الساقى للطباعة و النشر.
- 10- عبد المعطي عبد الباسط(1988) اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت: عالم المعرفة.
- 11- عثمانى عبد الحميد، الأيديولوجيا ترهن مصير المدرسة الجزائرية، عن الشبكة المعلوماتية: <https://www.echoroukonline.com>
- 12- مريم محمد حسن، المدرسة بين التعليم والأيديولوجيا، عن الشبكة المعلوماتية: <https://www.nafhamag.com/2015/08/18>
- 13- مهدي قصير(2016) مفهوم المواطنة في المدرسة الجزائرية- بين التصور و الممارسة-، مذكرة دكتوراه غير منشورة جامعة محمد بن محمد، وهران، الجزائر.
- 14- نصار ناصيف(1975) طريق الاستقلال الفلسفي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- 15- نعيم سمير(1985) النظرية في علم الاجتماع، مصر: دار المعارف الجامعية .
- 16- وطفة أسعد(2013) الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بورديو- العنف الرمزي بوصفه ممارسة طبقية في المدرسة، مجلة العلوم التربوية، المجلد 21، العدد 1، جامعة الكويت.
- 17- وطفة أسعد(2013) اللغة والانتماء الإجتماعية رؤية نقدية في طروحات بازيل برينشتاين، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الكويت.
- 18- وطفة علي اسعد، هل تقوم المدرسة بوظيفة التطبيع الأيديولوجي؟ عن الشبكة المعلوماتية: <http://elsada.net/109246/>

19-أرطيع نور الدين، عبد الله بن عتو(2019)التربية والايديولوجيا-التقاطعات والحدود-
مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، لبنان.

20-بودبزة ناصر(2015) المقاربة السوسيولوجية للتربية، مطبوعة محاضرات، جامعة ورقلة،
الجزائر.

21-صابر بليدي، الصراعات الأيديولوجية تقييد إصلاحات التعليم الجزائري، عن الشبكة
المعلوماتية: <https://alarab.co.uk>

22-عويش محمد، إيميل دوركايم والمقاربة الوظيفية في علم الاجتماع التربوي، عن الشبكة
المعلوماتية www.new-educ.com

23-مراد سبرطعي (2018) المقاربة الغربية للظاهرة التربية-دراسة نقدية لأبرز المداخل
النظرية في علم إجتماع التربية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد خيضر-بسكرة،
الجزائر .

24-يعيش خزار وسيلة(2001) تدريس علم الإجتماع بين العلوم والايديولوجيا- مذكرة
مقدمة لنيل درجة الماجستير غير منشورة، جامعة محمد منتوري- قسنطينة، الجزائر.

25-Roymon Boudon (1986) L'idéologie des Ides Reçues,
Foyaid, France